

الدرس الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم

والعاقبة للمتقين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وعبده أجمعين .

قال - رحمه الله - :

فصلٌ في تعريف العبادة وذكر بعض أنواعها وأن من صرف منها شيئاً لغير الله فقد أشرك .
ثم العبادة هي اسمٌ جامعٌ لكل ما يرضي الإله السامع .

الشرح :

هذه ثلاثة أمور عقد - رحمه الله - هذا الفصل لتبيانها وإيضاحها ، الأول منها تعريف العبادة وذلك بذكر حد العبادة الذي به تعرف ، وشيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى ذكر في كتابه العبودية حداً للعبادة تناقله عنه أهل العلم واستحسنوه وارتضوه وهو قوله رحمه الله [العبادة اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة] فهذا حدٌ وضابطٌ للعبادة من حيث هي لا من حيث العابد ، لأن حد العبادة من حيث فعل العابد أو حقيقة حال العابد ؛ غاية المذل مع غاية الحب لله تبارك وتعالى ، أما حد العبادة وتعريفها من حيث هي ؛ هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة وبهذا يتبين أن العبادة منها ما يكون باللسان ومنها ما يكون بالقلب ومنها ما يكون بالجوارح فكل هذه لها حظها من العبودية لله تبارك وتعالى ، القلب له عبدياته من الخشية والإنابة والرجاء والخوف والتوكل وغير ذلك واللسان له أيضاً عبدياته من الذكر لله - عز وجل - والدعاء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من الأعمال الصالحة التي تكون باللسان ، والجوارح أيضاً لها حظها من ذلك من صلاة وصيام وحج وغير ذلك من الطاعات التي يباشرها المرء بجوارحه ، فالعبادة جامعة لكل أمرٍ يحبه الله ويرضاه سواء كان هذا الأمر متعلقاً بالقلب أو من أعمال القلوب أو كان من أقوال اللسان أو كان من أفعال الجوارح فكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة كل ذلك عبادة وكل ذلك داخلٌ في مسمى العبادة ويتناوله اسمها ، الجانب الآخر عند المصنف - رحمه الله - في هذا الفصل في ذكر بعض أنواع العبادة وهذا سيأتي عنده يذكر فيه أنواعاً وأفراداً من العبادة كالاستعانة والاستغاثة والرجاء وغير ذلك مما سيأتي عنده - رحمه الله - والجانب الأخير في هذا الفصل بيان أن العبادة حقٌ لله - تبارك

وتعالى - وأن من صرف منها شيئاً لغيره فقد أشرك ؛ أي أشرك بالله - تبارك وتعالى - غيره ويكون بذلك ارتكب أعظم الظلم وأكبر الجرم كما قال الله تعالى { إن الشرك لظلمٌ عظيم } .
قال في الجانب الأول في العبادة قال :

ثم العبادة هي اسمٌ جامعٌ لكل ما يرضي الإله السامع

العبادة اسم جامع ، جامعٌ لماذا ؟ جامعٌ لكل ما يرضي الإله تبارك وتعالى ، فالعبادة اسمٌ جامع لكل ما يرضي الإله ؛ أي ما يرضيه تبارك وتعالى من الأقوال أو الأعمال الظاهرة منه أو الباطنة ، فكل ما يرضي الإله فهو داخل في العبادة وهذا معنى قول شيخ الإسلام العبادة اسمٌ جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، فكل ما يرضي الإله وكل ما يحبه الله سبحانه وتعالى من الأقوال أو الأعمال الظاهرة منها والباطنة فهو داخلٌ في مسمى العبادة ، (لكل ما يرضي الإله) الإله اسم من أسماء الله -تبارك وتعالى- الحسنى وهو دالٌّ على ألوهيته وأنه ذو الأولوية والعبودية على خلقه أجمعين .

وقوله (السامع) أي لأصوات الخليقة وأنه تبارك وتعالى سميعٌ بسمع وأن سمعه تبارك وتعالى وسع الأصوات فهو السامع أي للأصوات ، وهذا من باب الإخبار عن الله ، أما اسم الله تبارك وتعالى الذي يدل على ثبوت السمع صفةً له فهو اسمه السميع قد جاء في مواضع عديدة من كتاب الله عز وجل منها قوله تعالى { ليس كمثله شيء وهو السميع البصير } ومنها قوله تعالى { قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميعٌ بصير } وقول الناظم هنا (السامع) هذا من باب الإخبار عن الله تبارك وتعالى .

قال - رحمه الله - :

وفي الحديث مخها الدعاء خوفٌ توكلٌ كذا الرجاءُ

ورغبةٌ ورهبةٌ خشوعٌ وخشيةٌ إنابةٌ خضوعٌ

والاستعاذة والاستعانة كذا استغاثةٌ به سبحانه

والذبح والنذر وغير ذلك فافهم هديت أوضح المسالك

وصرف بعضها لغير الله شركٌ وذاك أقبح المناهي

الشرح :

هنا في هذه الآيات الخمسة سرد - رحمه الله تعالى - أنواعاً من العبادة وبدأها بالدعاء وبدؤه بالدعاء لأنه أعظم أنواع العبادة وأهمها كما صح في الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال [الدعاء هو العبادة] وتلا قول الله تعالى { وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي } فالدعاء عبادة بل هو أعظم أنواع العبادة ، وجاء في الحديث [ليس شيء أكرم عند الله من اللدعاء] فالدعاء عبادة وبه بدأ به - رحمه الله - وقوله (وفي الحديث مخها اللدعاء) أشار في الشرح إلى أن هذا الحديث فيه شيء من الكلام ، والذي ثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - هو قوله في حديث النعمان [اللدعاء هو العبادة] وما جاء في لفظ [اللدعاء مخ العبادة] لم يصح عن النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - فهذا أمرٌ أشار إليه الشارح - رحمه الله - في كتابه معارج القبول ، قال (خوفٌ) وهذا أيضاً نوع من أنواع العبادة ألا وهو الخوف أي من الله ، قال تعالى { إنما ذالكم الشيطان يخوف أوليائه فلا تخافوهم وخافوني إن كنتم مؤمنين } فالخوف عبادة وهي عبادة قلبية بين الإنسان وبين الله - تبارك وتعالى - خوف السر في قلب الإنسان وفي باطنه ، والمؤمن لا يصرف هذه العبادة - التي هي خوف السر - إلا لله { فلا تخافوهم وخافوني إن كنتم مؤمنين } قال (توكلٌ) وهذا أيضاً عبادة من العبادات التي يحبها الله - جل وعلا - ويرضاها قال { فعلى الله توكلوا إن كنتم مؤمنين } فالتوكل هو اعتماد القلب على الله وثقته به وحسن إلتهجاؤه إليه وتفويض الأمر إليه تبارك وتعالى مع فعلٍ للأسباب ، قال (كذا الرجاء) الرجاء أيضاً عبادة { فمن كان يرجو لقاء ربه } قال تعالى { أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته } فالرجاء عبادة وهو الطمع فيما عند الله - عز وجل - وعدم اليأس بل إن الرجاء والخوف والحب هي أركان العبادة ، العبادة تقوم على أركان ثلاثة وهي الرجاء والحب والخوف ، ويصفها أو يشبهها أهل العلم بالطائر يقول [الحب رأسه والرجاء والخوف جناحه] فالحب هو أصل في العبودية بل هو قاعدة العبودية ، والرجاء والخوف جناحه ولا بد منهما معاً متوازنين رجاءٌ وخوف لا يغلب أحدهما على الآخر ، إن غلب الخوف قنط ، وإن غلب الرجاء أمن ، وكلٌ منهما من كبائر الذنوب القنوط من رحمة الله والأمن من مكر الله ، لذلك يجب على العبد أن يوازن بينهما رجاء وخوف لا يغلب الخوف ويهمل الرجاء ولا يغلب الرجاء ويهمل الخوف ولهذا قال بعض أهل العلم قديماً [من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق ومن عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجيء ومن عبد الله بالخوف وحده فهو حروري - أي على طريقة الخوارج - ومن عبد الله بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد] قال (ورغبةٌ) الرغبة هي بمعنى الرجاء ، قال (ورهبةٌ) وهي بمعنى الخوف ، قال تعالى { يدعوننا رغباً

ورهباً { رغباً : أي راغبين وطامعين فيما عند الله - عز وجل - ورهباً : أي راهبين وخائفين من سخطه ، خائفين من أن ترد الأعمال عليهم ، قال تعالى { وللمذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون } وجلة : أي خائفة ، خائفة من ماذا ؟ من أن ترد الأعمال كما جاء في المسند أن عائشة - رضي الله عنها - سألت النبي - صلى الله عليه وسلم - أهو الرجل يزني ويسرق ويقتل ويخاف أن يعذب ؟ قال : لا يا ابنة الصديق ولكنه الرجل يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف ألا يقبل [قال (خشوعٌ) وهذا من العبوديات التي يحبها الله تبارك وتعالى من عبادته قال تعالى { إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين } والخشوع هو ذل الجوارح وطمأنينتها وانكسارها لله تبارك وتعالى ، وهو يكون في ما يقوم به العبد من عبوديات لله من صلاة وحج وغير ذلك ودعاء يدعو الله تبارك وتعالى وهو خاشعٌ لله عز وجل ، قال (وخشية) والخشية هي بمعنى الخوف ، قال تبارك وتعالى { فلا تخشوهم واخشون } والآية المتقدمة قال { فلا تخافوهم وخافوني إن كنتم مؤمنين } قال (إنلبية) الإنلبية هي الرجوع إلى الله كما قال - عز وجل - { وأنيبوا إلى ربكم } الإنابة هي الرجوع إلى الله - عز وجل - بفعل ما أمر وترك ما نهى عنه تبارك وتعالى وزجر ، قال (خضوع) والخضوع أيضاً من العبوديات المطلوبة من المسلم وهي عبودية يحبها الله تبارك وتعالى ، وهي التذلّل لله تبارك وتعالى ، قال (والاستعاذة والاستعانة) الاستعاذة هي طلب العوذ ، والاستعانة هي طلب العون ، الاستعاذة طلب العوذ { قل أعوذ برب الناس } احتماً بالله عز وجل والتجاءً إليه تبارك وتعالى أن يحمي عبده وأن يقيه { وإما ينزغنك من الشيطان نزغٌ فاستعذ بالله } أي منه ، فالاستعاذة فهي طلب العوذ واحتماً والتجاءً إلى الله عز وجل واعتصامٌ به سبحانه وتعالى ، والاستعانة طلب العون قال تعالى { إياك نعبد وإياك نستعين } طلب العون من الله عز وجل بأن ييسر - لعبده القيام بمصالح دينه ودنياه ، وقد قال النبي - عليه الصلاة والسلام - لمعاذ [لا تدعن دبر كل صلاة أن تقول اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك] (كذا استغاثة) الاستغاثة هي طلب الغوث وتكون عند الشدة والكرب فيطلب من الله تبارك وتعالى أن يغيثه بأن يعينه على الخلاص من الشدة التي نابتة أو المصيبة التي دهته فيستغيث بالله تبارك وتعالى { إذ تستغثون ربكم فاستجاب لكم } قال (والذبح والنذر) الذبح من العبادات العظيمة التي يحبها الله { قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي { النسك هو الذبح قال تعالى { فصل لربك وانحر } أي لربك وفي الحديث قال - عليه الصلاة والسلام - [من ذبح لغير الله] فالذبح عبادة ، إراقة الدماء دماء بهيمة الأنعام عبادة من أعظم العبوديات وفي الذبح عبادتان أولاً عبادة الاستعانة

فلا يذبح إلا بسم الله فمن ذبح بغير اسمه تبارك وتعالى فقد أشرك ، أشرك به سبحانه ، ولا يذبح إلا لله تقرباً إلى الله سبحانه وتعالى ، ومن ذبح ذبيحةً متقرباً بها إلى غير الله فقد أشرك وشركه في باب العبادة لهذا الشرك الذي يكون في الذبح قد يكون في جانب الاستعانة وقد يكون في جانب العبادة ولهذا لا يذبح إلا لله ، ولا يذبح إلا باسمه استعانةً له تبارك وتعالى ، قال (والذبح والنذر) والنذر أيضاً عبادة وقد قال الله تبارك وتعالى { يوفون بالنذر } فأثنى عليهم بوفائهم به ، فالنذر عبادة ، ومن نذر لغير الله تبارك وتعالى فقد أشرك وأيضاً قوله تعالى { ثم ليقضوا نفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق } يقول الشيخ - رحمه الله - [ومن شرط النذر لله أن يكون طاعةً ، وأن يكون مما يطيقه العبد ، وأن يكون فيما يملك ، وألا يكون في موضع كان يعبد فيه غير الله أو ذريعة إلى عبادة غير الله] قال (وغير ذلك) أي أنه ذكر شيئاً يسيراً من أنواع العبادات والعبادات كثيرة جداً منها ما هو بالقلب ومنها ما هو باللسان ومنها ما هو بالجوارح ، قال (فافهم هديت أوضح المسالك) افهم أي انتبه لهذا الأمر وهذه الكلمات يؤتى بها للتنبيه للأمر العظيمة المهمة التي يحتاج العبد أن يجمع لها فهمه وذهنه ، قال (فافهم هديت) وهذا دعاء للسامع بالتوفيق (أوضح المسالك) أي هداك الله - عز وجل - أوضح المسالك { عسى ربي أن يهديني سواء السبيل } قال (وصرف بعضها لغير الله شركٌ وذاك أقبح المناهي)

(صرف بعضها) أي بعض العبادة لغير الله أيّاً كان ؛ سواء كان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلًا أو ولياً من الأولياء أو شجراً أو حجراً أو غير ذلك { وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً } { فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً } أيّاً كان ، كائناً من كان ، فالعبادة حقٌ لله سبحانه وتعالى ، { إن الله لا يغفره ، يشرك به } فالعبادة حقٌ لله ، (وصرف بعضها) أي من صرف بعضها ولو واحد ، لو واحداً من العبادة مثل من يصرف الدعاء أو يصرف الذبح أو غير ذلك من العبادات التي ذكر المصنف أو لم يذكر ، فمن صرف العبادات ولو عبادة واحدة فقد أشرك ، ومن أشرك حبط عمله وكان يوم القيامة من الخاسرين { ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين } والشرك مبطلٌ للأعمال محبطٌ لها موجبٌ للخلود في النار أبد الآباد ، فمن مات على الشرك بالله فهذا حكمه وهذا مصيره ، قال تعالى { والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى - عليهم فيموتوا ولا يخفف عليهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور } قال (وصرف بعضها لغير الله شركٌ) (وذاك) أي الشرك (أقبح المناهي) أقبح شيءٍ نهى الله عنه ، فالأمر القبيحة الذميمة المحرمة التي نهى الله تبارك وتعالى عنها

أقبحها الشرك وأخطرها ولهذا القرآن إذا ذكرت النواهي يبدأ بالنهي عن الشرك { واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً } وقال تبارك وتعالى { وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً } وفي الحديث قال - عليه الصلاة والسلام - [اجتنبوا السبع الموبقات] وبدأ بالشرك ، وفي الحديث الآخر [ألا أنبؤكم بأكبر الكبائر ؟ قلنا : بلى - وبدأ بالشرك] فبالمناهي يبدأ بأقبحها وأشنعها وهو الشرك بالله الذي هو أظلم الظلم وأكبر الجرم ، قال الله تعالى { إن الله لا يغفر أن يشرك به } وقال تعالى { إن الشرك لظلمٌ عظيم }
 قال - رحمه الله -

فصل في بيان ضد التوحيد وهو الشرك وأنه ينقسم على قسمين أصغر وأكبر وبيان كل منهما .

الشرك نوعان فشرُّ أكبر به خلود النار إذ لا يغفر

وهو اتخاذ العبد غير الله نداً به مسوياً مضاهي

الشرح :

هذا الفصل كما بين - رحمه الله - عقده للتعريف بالشرك وبيان حقيقته ، والمسلم كما أنه مطلوب منه أن يعرف التوحيد ليحققه فإنه مطلوب منه كذلك أن يعرف الشرك ليحذره ويجتنبه ، المسلم مطلوب منه أن يعرف الحق ليكون من أهله ، ومطلوب منه أن يعرف الباطل ليتقيه وقد قيل [كيف يتقي من لا يدري ما يتقي] وفي هذا الباب كيف يتقي الشرك من لا يعرف حقيقة الشرك ، الآيات في القرآن والأحاديث في سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - كثيرة في النهي عن الشرك وفي التحذير منه ، كيف يتحقق لعبد أن يحذر من الشرك وهو لا يعرف الشرك [كيف يتقي من لا يدري ما يتقي] ولهذا قال حذيفة بن اليمان كما في صحيح البخاري قال : [كان أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - يسألونه عن الخير فكنت أسأله عن الشر - مخافته] وعمر - رضي الله عنه - قال [تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية] فإذا كان الناس لا يعرفون الشرك ما هو وما حقيقته ربما وقعوا في بعض صورهم ظناً منهم أنهم يحسنون صنعا { قل هل أنبؤكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا } لا سيما مع كثرة أئمة الباطل ودعاة الضلال وكثرة الشبهات وتزيين الباطل وتغيير الأسماء يسمى الشرك عند العوام توسلاً أو يسمى شفاعاً ويسمى من لا يشرك مبغضاً للأولياء أو الأنبياء إلى غير ذلك من العبارات التي ينفقها أئمة الباطل ودعاة الضلال فيروج الباطل ولهذا لا بد من معرفة الشرك

ومعرفة حقيقته ليحذره العبد ، وقد قال الله في القرآن { وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين } ولماذا تستبين ؟ حتى تحذر وتتقى وتجتنب وفي هذا المعنى قال من قال :

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه و من لا يعرف الشر من الخير يقع فيه

إذا لم يميز الإنسان بين الخير والشر وقع في الشر من حيث لا يشعر فهذا الباب ، باب مهم ، أو هذا الفصل فصل مهم لا بد من معرفة الشرك وحقيقته ومعرفة أنواعه ليكون العبد منه على حذر ، ومن فوائد معرفة العبد للشرك وخطورته وقبحه ؛ معرفة حسن ضده وهو التوحيد ؛ وبضدها تتميز الأشياء ، فالعبد إذا نظر إلى الشرك وعرفه أو عرف قبحه وخطره وقبح حال المشركين يحمد الله سبحانه أن عافاه وأن حماه ويعرف قيمة هذا التوحيد ومكانته كلما ينظر إلى تلك العقول التائهة ، والأفهام الرديئة العاكفة على قبر أو على ضريح أو على حجر أو على شجر أو غير ذلك بذل وخضوع وانكسار يحمد الله ، يحمد الله تبارك وتعالى المان والمتفضل أن عرفه بالتوحيد ومنّ عليه بأن هداه له ، فليس يوجد عند الأضرحة وعند الأشجار والقباب من هم عاكفون عندها خاضعون ؛ أليس فيهم شباب ؟ أليس فيهم شباب بسنك ؟ فيه ، لكن هذه منة الله عليك ، هداك ووفقك وأكرمك بمعرفة الحق والهدى وعندما يعرف الإنسان هذه الأمور يحمد الله - سبحانه وتعالى - على العافية ويدرك قيمة التوحيد ومكانته العظيمة وفضل الله سبحانه وتعالى عليه ، الآن لو يتأمل بعضكم في المجتمع الذي جاء منه ؛ المجتمع الذي جاء منه وفي الزملاء المذنبين كانوا معه في الدراسة وفي المراحل الأولى من الدراسة ربما بعضهم متورط في مثل هذه التهاكات الباطلة وهذا أيضاً حقيقة يستوجب منك وقد هداك الله وأكرمك أن تعمل بالجدادة ، وأنا أنصحك ألا تؤجل هذا العمل إلى أن تسافر لا تؤجله ، إذا كان لك صديق في الدراسة من الآن تكتب له ، لعل الله يهديه على يديك [لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حمر النعم] ولتكن لطيفاً معه في الخطاب والدعوة ، تبدأ الخطاب تقول وأنا في المدينة ذكرتُ ساعاتٍ جميلة وأوقاتٍ جميلة أيام الصبا كنت إلى جنبي في مقاعد الدراسة وكنا نلعب سوياً ونضحك سوياً ، وأذكر أنك قلت لي في اليوم الفلاني كذا وكذا ، ولازلت أتذكر كلماتك الجميلة وأنا الآن في المدينة قرأت كذا ووجدت كذا ، وأنت من الناس المذنبين أحب لهم الخير والأمور التي أكرمني الله تبارك وتعالى فيها أحب أن تقف عليها وأنت وأنت ، وفي بعض الكلام ، ثم تذكر له الآيات والأحاديث تكتبها من الآن ، خاصة الآن فترة الإجازة لست مرتبطاً أكتب والرسالة الواحدة الجميلة التي تكتبها يمكن أن ترسلها لأكثر من زميل ، وما يدريك الرسالة التي تكتبها صادقاً ناصحاً راغباً ينقذ الله سبحانه وتعالى بها

على يدك زملاء وإخوان ورفقاء ، وإذا كان أهل الباطل يعملون بشكل كبير جداً في نشر الباطل من خلال القنوات ومن خلال شبكة الانترنت ومن خلال المجلات ، فأنت يا صاحب الحق ينبغي أن تكون تقدم ، ثم من هؤلاء الذين ستقدم لهم هؤلاء فيهم الأخ وفيهم الأب وفيهم العم وفيهم الخال وفي ذلك { ولأنذر عشيرتك الأقربين } ، ولا تؤخر ؛ حتى الشاب من زملائك لو قلت إذا سافرت سأحدث معه ربما يموت قبل أن ، هل تضمن أنه يعيش حتى تراه ، فالبدار البدار بالخير لا تؤجل والرسالة لا تكلفك شيئاً لكن قد تكون سبب هداية ، رسالة لطيفة جميلة تكتبها له وتبين له مثل هذه المعاني العظيمة المهمة من الآيات والأحاديث ، وما في مانع من التعاون إذا وفقك الله لصيغة جميلة تهديها لزميلك تقول هذه كتبها إذا تحب أنت أن ترسلها لأحد زملائك ما فيه مانع ، والسهم الواحد يؤجر فيه ثلاثة ، وهذا كله من التعاون على البر والتقوى ، فأنا أدعو الإخوان بأن يعتنوا بهذا الأمر عناية عظيمة ويمكن من هذا الكتاب وشرحه معارج القبول نلخص منه بعض الفوائد ونسأل الله جل وعلا للجميع التوفيق .

قال (فصل في بيان ضد التوحيد وهو الشرك) الشرك هو تسوية غير الله بالله في شيء من خصائصه وحقوقه تعالى فمن سوى غير الله بالله في شيء من خصائص الله وحقوقه جل وعلا فقد أشرك سواءً خصائص الله جل وعلا في ربوبيته أو خصائصه في أسمائه تبارك وتعالى أو في صفاته أو في شيء من حقوقه على عباده من الذل والخضوع والدعاء والرجاء وغير ذلك من العبادات فقد أشرك ، لذلك الشرك ينقسم إلى ثلاثة أقسام شرك في الربوبية وشرك في الأسماء والصفات وشرك في الألوهية ، كما أن التوحيد ثلاثة أقسام فالشرك ضده ثلاثة أقسام ، والشرك يكون في إعطاء المخلوق شيء من خصائص الخالق تبارك وتعالى ، وشيء من حقوقه تبارك وتعالى على عباده ، ويقول المصنف أنه ينقسم إلى قسمين باعتبار عظمه وحجمه ينقسم إلى قسمين أكبر وأصغر ؛ وسيأتي عند الناظم رحمه الله بياناً للشرك الأكبر والشرك الأصغر في الآيات القادمة قال : والشرك نوعان فشرك أكبر به خلود النار إذ لا يغفر

(الشرك نوعان) أي أكبر وأصغر ، بدأ بالأخطر منهما والأعظم وهو الشرك الأكبر ، قال :

به خلود النار إذ لا يغفر

وهو اتخاذ العبد غير الله ندا به مسوياً مضاهياً

هنا الشيخ - رحمه الله - يتكلم عن جانبين يتعلقان بالشرك الأكبر الجانب الأول حكمه ، والجانب الثاني حده ، ولنتنبه لهذا لأن الشرك الأكبر يختلف عن الشرك الأصغر بالحد والحكم ، وهنا بدأ الشيخ رحمه الله

بذكر حكم الشيخ الأكبر وحد الشرك الأكبر ، ثم بعد ذلك ذكر الشرك الأصغر ، أما حكم الشرك الأكبر فبينه بقوله (به خلود النار إذ لا يغفر) هذا حكمه به خلود النار ، أي من مات على الشرك الأكبر فحكمه الخلود في النار أبد الآباد وهو الذنب الذي لا يغفر ، قال تعالى { إن الله لا يغفر أن يشرك به } وقال تعالى { والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها } فحكم الشرك الأكبر الخلود في النار وأن الله سبحانه وتعالى لا يغفر لصاحبه ولا مطمع لصاحبه في رحمة الله إذا مات على ذلك هذا حكمه أما حده فبينه بقوله (وهو اتخاذ العبد غير الله نداً به مساوياً مضاهي) هذا حد الشرك الأكبر أن يتخذ العبد غير الله (نداً) أي به (مساوياً مضاهي) هذا فيه أن الشرك تسوية غير الله في شيء من خصائص الله أو حقوقه ، من سوى غير الله بالله في شيء من خصائصه أو حقوقه وجعل غير اله مضاهي لله أي نديداً فهو مشرك ولهذا إذا أدخل أهل النار النار يوم القيامة يقولون { تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين } وقال تعالى { ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله } وقال تعالى { ثم الذين كفروا بربهم يعدلون } أي يعدلون غيره به أي يسونه به ، فالشرك اتخاذ العبد غير الله (نداً به مساوياً مضاهي) أي يجعل غير الله مساوياً بالله ، أي في شيء من خصائص الله أو حقوقه سبحانه ، هذا حد الشرك الأكبر .

قال رحمه الله :

يقصده عند نزول الضر لجلب خيرٍ أو لدفع الشرِ
أو عند أي غرضٍ لا يقدر عليه إلا المالك المقندر
مع جعله لذلك المدعو أو المعظم أو المرجو
بالغيب سلطاناً به يطلع على ضمير من إليه يفزعُ

الشرح

(يقصده) أي المتخذ للند ، يقصده أي يقصد الند الذي جعله مساوياً ومضاهياً لله تبارك وتعالى ، يقصده أي يلتجأ إليه ويعود به ويحتمي به ، ويعتصم به ويلوذ به ، قال (أو عند أي غرض) أي غرض من الأغراض أي يقصد هذا الند (عند نزول الضر) عندما ينزل به مصيبة أو بلاء من مرض أو سقم أو فقر أو خوف أو غير ذلك ، يقصده (لجلب خيرٍ أو لدفع الشر) يقصد هذا الند الشريك من أجل أن يدفع عنه شراً

أو أن يجلب له خيراً ، قال تعالى { قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف أضركم ولا تحويلاً } قال تعالى { قل أرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضراً هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله } فمن اتخذ نداً لجلب خيرٍ أو لدفع ضرٍ (أو عند أي غرض) مثل طلب الولد أو طلب العافية أو طلب المال أو طلب النجاح أو طلب السلامة ، أو غير ذلك أي غرض من الأغراض لا يقدر عليه إلا المالك المقتدر يطلب من غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله ، هذا شرك مثل دعاء الموتى ودعاء الغائبين ودعاء الملائكة ودعاء الأولياء والالتجاء إلى القباب والأشجار والأضرحة وغير ذلك ، فمن التجأ إلى غير الله سبحانه وتعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى فهو مشرك ، قال (لا يقدر عليه إلا المالك المقتدر) وذكره لذين المالك المقتدر فيه تنبيه إلى أن العبودية والذل والالتجاء والخضوع والرجاء والرغبة كل ذلك لا يكون إلا للمالك المقتدر ، لا يتوجه بشيء من ذلك إلا للمالك المقتدر أما المملوك المربوب الذي لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ولا حياة ولا نشوراً ، لا يستحق شيء من هذه الأمور ولا يملك لنفسه ، فكيف يملك شيئاً من ذلك لغيره ، ولا يملك موتاً ولا حياة ولا نشوراً فكيف يملك ذلك لغيره ، قال :

مع جعله لذلك المدعو أو المعظم أو المرجو

بالغيب سلطاناً به يطلع على ضمير من إليه يفرغ

(مع جعله) أي مع جعل لهذا المتخذ الشر-كاء أو الأنداد لذلك المدعو الذي يدعونه من دون الله (أو المعظم أو المرجو) أي يجعل المعظم عنده ، (المدعو) الذي دعاه ولجأ له من دون الله ورجاه من دون الله تبارك وتعالى ، يجعل له سلطاناً في الغيب ، قوله :

مع جعله لذلك المدعو

بالغيب سلطاناً به يطلع على ضمير من إليه يفرغ

أي يعتقد في ذلك المدعويين أو المقبورين أو قباب أو أضرحة أو غير ذلك يعتقد أن هؤلاء المعظمين المدعويين سلطان في الغيب يطلعون على ما في الصدور وما تكنه القلوب وما تسره النفوس وأنهم يعلمون ، حتى في بعض كتب أهل الضلال والباطل يعتقدون أبواب في أن الأئمة والأولياء يعلمون الغيب ويعلمون ما كان ويعلمون متى يموتون ويعلمون متى الساعة وأشياء كثيرة موجودة إلى الآن في كتب أهل الضلال والباطل ، والله تعالى يقول { قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله } سمع - عليه الصلاة

والسلام- امرأة تقول [وفينا رسول الله يعلم ما في غدٍ] فغضب وقال : [لا يعلم ما في غدٍ إلا الله] { ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء } فعلم الغيب خاصٌّ بالله تبارك وتعالى .

فائدة أشير إليها في كتاب العذب النمير للشيخ الشنقيطي رحمه الله أظنه في المجلد الثاني منه ، جمع جمعاً بديعاً نافعاً مفيداً سرد فيه الأنبياء في القرآن وبين من خلال قصص الأنبياء أن الأنبياء لا علم لهم بالغيب ، وجاء بقصص مفيدة جداً ، جاء بقصة يعقوب لما ألقى إخوانه يوسف -عليه السلام- في البئر وبيضت عيناه من الحزن جاء بهذه القصة قال لو كان يعلم الغيب لما حصل له هذا الأمر وأتى بقصص قصة سليمان والهدد وجاء بقصص كثيرة مفيدة جداً ويصلح أن تجمع وتبين للناس سردها في صفحات قليلة يمكن أن تطلعون عليها ولعل الناشطين منكم يحدد لزملائه الموضوع تحديداً لكتاب العذب النمير ولعل واحداً يصوره أو يلخص أبواب الخير الحمد لله كثيرة ، وأنتم ما شاء الله كل واحدة فيكم أنشط من الثاني في أبواب الخير والحرص عليه بإذن الله عز وجل .

بالغيب سلطاناً به يطلعُ على ضمير من إليه يفزعُ

أذكر في إحدى الدول شخص يسمونه ولي ويجلس في السوق رجل في آخر عمره كبير جداً طاعن في السن ويعتقدون أنه ولي ، ثم الناس واحداً تلو الآخر يأتي ويجلس معه ما يتكلم يجلس ربع ساعة ثلث ساعة خضوع وخشوع ثم يقوم ويمشي- ، ويعتقدون أن هذا الولي إذا جلس أمامه يطلع على ما في نفسه وعلى مشكلته ويلقي في قلبه الحل والخير والبركة وهذا مثله كثير ، أهل الضلال كثير لا كثرهم الله .

قال -رحمه الله- :

والثاني شركٌ أصغرٌ وهو الريا فسر به ختام الأنبياء

الشرح :

قال (والثاني) أي من نوعي الشرك (شركٌ أصغرٌ وهو الريا فسر به ختام الأنبياء) يشير الشيخ رحمه الله إلى ما جاء في الحديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- [إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر قال الرياء] ففسره النبي -صلى الله عليه وسلم- بالرياء والمراد بالرياء هنا ليس الرياء الخالص الذي ذكره الله - عز وجل - عن المنافقين اللذين يراؤون الناس وإنما المراد يسير الرياء مثل ما جاء في الحديث الآخر قال [يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر الرجل] فالشرك الأصغر يختلف عن الشرك الأكبر في الحكم والحد ، أما حد الشرك الأصغر فهو كل ما جاء في النصوص

بوصفه أنه شرك ولم يبلغ رتبة الشرك الأكبر هذا الضابط أنت الآن عرفت ضابط الشرك الأكبر فكل ما أطلق عليه شرك في النصوص ولا يبلغ رتبة الشرك الأكبر فهذا شرك أصغر مثل الألفاظ التي تأتي على الألسنة ومثل يسير الرياء ومثل الحلف بغير الله تبارك وتعالى ونحو ذلك من الأمور ، قال :

والثاني شرك أصغر وهو الرياء فسر به ختام الأنبياء

صلى الله عليه وسلم

ومنه إقسام بغير الباري كما أتى في محكم الأخبار

(ومنه) أي من الشرك الأصغر أقسام بغير الباري أي بغير الله وقد جاء في الحديث عن النبي -عليه الصلاة والسلام- أنه قال [من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك] وقال لا تحلفوا بأبائكم ولا أمهاتكم من كان حالفاً فليحلف بالله [فلا حلف بالكعبة ولا يحلف بالنبي -عليه الصلاة والسلام- ولا يحلف بالأولياء ولا يحلف بأي شيء لا يحلف إلا بالله من كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله ، في بعض المناطق من صغرهم درجوا على الحلف بالنبي -عليه الصلاة والسلام- وكلما ما جاءت مناسبة وأمر عظيم وأراد أن يحلف قال والنبي ، يذكرون من الطرائف أن أحدهم لقي هؤلاء فحلف بالنبي فأخذ ينصححه يقول له اتق الله هذا حلف بغير الله ، النبي صلى الله عليه وسلم قال [من كان حالفاً فليحلف بالله] وقال [لا تحلفوا بأبائكم] وقال [من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك] وأخذ يبين له ولما انتهى من شدة اقتناعه بهذا البيان وهذا الإيضاح قال : والنبي ما عاد أحلف بالنبي .

الآن انتهينا من هذا الفصل وأمامنا فصل آخر يحتاج إلى شيء من الوقت ونكتفي بهذا القدر وإن شاء الله هذه المنظومة نكملها بإذن الله في منتصف الفصل الدراسي سيكون عندنا ثلاث جلسات في هذا المكان إن شاء الله وفي نهاية العام الدراسي إن شاء الله أيضاً يكون عندنا جلسة لمدة أسبوع وبهذه الفترة بإذن الله ننهي هذه المنظومة وأقترح أن في هذه الفترة تحفظ ، المائتين والسبعين بيت تحفظ في هذه الفترة بحيث أنه لا تأتي الدورة القادمة إلا والجميع قد حفظوها وهي ما شاء الله سلسلة وواضحة وما في مانع أن يكون وهذا جميل بين الإخوان والطلاب ما فيه مانع أن يكون هناك تواصل ، الله قال في القرآن { سنشد عضدك بأخيك } ما فيه مانع بأن الزملاء الذين بينهم صحبة يرتبون برنامج من الآن كل يوم نسمع بعض خمسة أبيات أو عشرة أبيات حسب قدرتهم ومن تأخر منهم يشجعونه وهذا طيب بين الإخوان وأحسن ما تشغل به مجالس الإخوان وطلاب العلم مثل هذه المعاني العظيمة والتعاون على البر والتقوى ، والحمد لله هذه ساعات طيبة

جلسناها سوياً الله جمعنا ويسر لنا ذلك نسأل الله أن يبارك لنا أجمعين وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه وأن يهدينا سواء السبيل وأن يهدينا ويهدي بنا ويهدي لنا ويسر الهدى لنا وأن يصلح لنا جميعاً ديننا وعصمة أمرنا وأن يصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا وأن يصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا وأن يجعل الحياة زيادة لنا في كل خير والموت راحة لنا من كل شر وأسأل الله أن يثيب من يقوم على تنظيم هذه الدورة وغيرها من الدورات العلمية النافعة لطلاب العلم وما أخفيكم لنا دائماً أقول في حق من ينظمون هذه الدورات أن يغبطون والله على هذا الخير لأن مهمة المنظم تكون في الطلب لكن بعض المشايخ عندما يستجيب يتكلف مجيئاً من بلده ويتكلف استعداداً للدرس ومراجعة ومذاكرة إلى غير ذلك وهذا الذي دعاه ربنا دعاه باتصال هاتفني واحد يكتب له لأن الدال على الخير كفاعله ، فنسأل الله أن يثيب من يقومون على تنظيم مثل هذه الدورات العلمية وأن يجزيهم خير الجزاء وأن يثيب الإخوة الحاضرين وغير الحاضرين طلاب العلم وأن يسر لنا بمنه وكرمه الخير والتوفيق والسداد ، جزاكم الله خيراً ونراكم على خير ، صلى الله وسلم على نبينا محمد .